لقاء ابن خلدون مع تيمورلنك في دمشق عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م
دراسة تحليلية نقدية

أستاذ مشارك
د. عيسى محمود عسود العزام
جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية / إربد
كلية العلوم والآداب / قسم العلوم الإنسانية

الخلاصة:

تضمن البحث دراسة للنص التاريخي المتعلق بـــ : "لقاء ابن خلدون مع تيمورلنك" في دمشق عام ٨٠٣هـــ/١٤٠٠م ، وقد ابتدأ البحث بدراسة موجزة لحياة ابن خلدون ، والعوامل التي أثرت في مسيرة حياته ، ثم اشتمل البحث على تلخيص للنص وتقسيمه و وتبويبه وتحليله مبينا أهم الآراء والملاحظات حول اللقاء .

ومن تحليل النص توصلنا إلى استنتاجات كثيرة ، أهمها:

١. أن ابن خلدون كان كثير الاهتمام بخروج المغول ؛ بدليل كثرة مصادر أخباره المكتوبة والشفوية ، وأنه أبدى اهتمامه بذلك حتى قبل لقائه مع تيمورلنك .

٢.رسم ابن خلدون صورة عن الأتراك،"الذين منهم المغول" ، تبين أنهم شعب مدمر للعمران.

٣.إن ابن خلدون عندما تردد في خروجه إلى الشام مع سلطان المماليك ، لم يكن إلا لأنه كان بصـــفة غير رسمية وهو لا يقبل أن لا يكون له رأي أو أمر.

٤.إن أحوال مصر الاجتماعية السيئة والمجاعة التي أصابتها ونفوذ طبقة التجار،لها أثر كبيـــر فـــي خوف سلطان المماليك من الفتنة ورجوعه السريع إلى هناك.

٥.إن رغبة العلماء في أن يشترك ابن خلدون في طلب الأمان من تيمورلنك،يدل دلالة واضحة علـــى مكانته وأنه كان معروفاً في دائرة الغازي التتري؛ بدليل سؤاله عنه عندما لم يره مع الوفد، ولعـــل هذا كان سبب احتفائه به عندما حضر إليه .

٦.إن تيمورلنك كان يهدف إلى استدراج ابن خلدون ؛ للحصول على معلومات حول بلاد المغـــرب ؛ بغية الوقوف على تفاصيلها ليقوم بغزوها.

٧.ومع افتراض الحكم بأن ما كتبه ابن خلدون يُعد اشتغالاً للخصم، فإن نزعته نحو التقرب من الحكام وحبه للشهرة والعظمة ، هي التي دفعته إلى ذلك وأنه كان يأمل الانتظام في بطانة هذا الغازي.

٨.لم يكن الثناء الكبير على تيمورلنك ومدحه الزائد ، إلا نتيجة لما لمسه منه ابن خلدون من ســـذاجة فأخذ يطنب في مدحه، وبذلك اختفت موضوعيته وظهر نفاقه.

٩.كان تيمورلنك يظهر الود ويستدرج الناس عند الفتح ، لكنه كان ينقلب عليهم بعد ذلك ، ويســـتخدم الإرهاب والعنف ويخرب المدن ، وهذه تؤكد الصورة التي رسمها المؤرخون– ومنهم ابن خلدون – عن المغول وهي صورة شعب مدمر للعمران.

١٠.إن مطالبة الرجل العباسي بالخلافة من تيمورلنك واستماع الأخير للآراء حول ذلك ، يدل على أنه أصبح الآمر والناهي والقادر على تعيين الخلفاء والحكام.

١١.فشِلَ ابن خلدون في تحقيق ما كان يأمله ، وعندما أدرك ذلك استأذن تيمورلنك بالعودة إلى مصر، وقد خسر الكثير.

١٢.إن محاولة تيمورلنك شراء بغلة ابن خلدون ،يمكن تفسيرها بأنها مكافأة له بطريقة غير مباشرة.
١٣.ربما حصل ابن خلدون على أخبار موثقة عن قوة المغول وقدرتهم وقيادتهم ، فبعث بها إلى سلطان المغرب ؛ ليأخذ حذره من خطرهم.

المقدمة

تناول هذا البحث تحليل النص التاريخي المتعلق بلقاء ابن خلدون بتيمورلنك في دمشق عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، المأخوذ من كتاب :"التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً"

وقد آثرتُ أن ابدأ البحث بدراسة موجزة لحياة ابن خلدون: من مولده ونشأته والمناصب التي تولاها والبلدان التي زارها وأقام فيها حتى وفاته،فضلاً عن العوامل التي أثرت في مسيرة حياته ودفعته إلى التقرب من السلاطين والحكام والأمراء.

اشتمل البحث على تلخيص للنص وتقسيمه وتبويبه إلى عناوين فرعية وفق المعلومات المتضمنة في النص،ومن ثم تحليله بفقراته المتنوعة حيث حاولتُ إبراز وجهات النظر حول لقاء ابن خلدون بتيمورلنك، وعرضت رأيي في مواقف كثيرة، كما أشرتُ إلى الاستنتاجات المختلفة من خلال النص التاريخي.

ابن خلدون :نشأته وسيرة حياته

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ، كنيته: أبو زيد، ولقبه: ولي الدين ، وشهرته ، ابن خلدون(١). وقد لقبه السلطان المملوكي الظاهر برقوق(٧٨٤ - ٨٠٣هـ/١٣٨٢-١٤٠٠م) : ولي الدين ، بعد أن فوض إليه قضاء المالكية عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، ويعرف بـ:ابن خلدون نسبة إلى جده خلدون بن عثمان، وهو أول من دخل من هذه الأسرة بلاد الأندلس مع الفتح العربي _الإسلامي، ويرجع نسبة إلى أصل يماني حضرمي من عرب اليمن إلى وائل بن حجر أحد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، الذي دعا له الرسول (ص) بالبركة في ولده إلى يوم القيامة(٢).

ولد ابن خلدون في تونس غرة رمضان عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، ونشأ وترعرع هناك إلى أن بلغ العشرين من العمر، ولما كان والده من رجال العلم والأدب فقد اعتنى بترتيبه وتولى بنفسه تعليمه القرآن ، وهيأ له السبل لدرس سائر العلوم على يد أقدر الأساتذة الموجودين في تونس آنذاك،ومن أشهر من تعلم القرآن على يديه في المغرب: الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري الذي كان إماماً في القراءات ، والشيخ أبو العباس احمد بن محمد البطرني الذي يعد من أشهر الائمة في القراءات السبع (٣).

انكب ابن خلدون منذ نشأته الأولى على تحصيل العلم ، فقال عن نفسه: "لم أزل منذ نشأتُ وناهزتُ منكباً على تحصيل العلم حريصاً على اقتناء الفضائل متنقلاً بين دروس العلم وحلقاته " إلى أن كان الطاعون الجارف عام ٧٤٩هـ/١٣٤٩م الذي ذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة ومنهم أبويه(٤)، وفي هذه المرحلة من العمر كان ابن خلدون قد قطع شوطاً في تحصيل العلوم الدينية وغير الدينية ، فقد حفظ القرآن على القراءات السبع واطلع على كتب كثير من الفقهاء(٥)، كما تعلم صناعة العربية على والده وعلى أئمة النحو آنذاك(٦). أما الفقه والحديث والعلوم العقلية فقد أخذها عن أئمة عصره(٧)، وقد كان لحادث الطاعون الجارف ولهجرة العلماء والأدباء –بسبب هذا الطاعون– أثر بليغ في مسيرة حياته ، إذ أخذ يتطلع إلى تولي الوظائف العامة والسير في الطريق الذي سار فيه أجداده وأفراد أسرته.

كانت دراية ابن خلدون وخبرته بشؤون الحكم تنمو وتزداد ، فتطلع إلى المناصب السلطانية ودواوين الأمراء والعلماء ومجالسهم، ومع ما كان يشوب هذه الحياة من منافسات ودسائس ووشايات ، لكن ابن خلدون أصرّ على ركوب مركبها دون النظر إلى أخطارها ومزالقها.

بدأت حياته السياسية باستدعائه من قبل الوزير محمد بن تافراكين ، المستبد بأمور الدولة وزير أبي إسحاق في تونس لكتابه "العلامة"[٨]،عن السلطان أبي عنان ، ولم يطل به المقام في ديوان سلطان تونس، وكانت أول خبراته في شؤون الدواوين، وفي عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م فـرَ (هرب) من تونس إلى فاس إثر انهزام ابي إسحاق أمام جيش قسطنطينية ولم يعد إليها إلا بعد ربع قرن[٩].

أمضى ابن خلدون في فاس ثمانية أعوام (٧٥٥ -٧٦٣ هـ/١٣٥٤-١٣٦٢م) خالطَ خلالها رجال الفكر، ومارسَ الخطابة والشعر والسياسة، ثم انتقل إلى تلمسان فوفد على سلطانها أبي عنان بن السلطان أبي الحسن، فأكرمه وضمه إلى مجلسه وظل يتقرب منه حتى أصبح كابنه الخاص.

يبدو أن ابن خلدون لم يلقَ عند أبي عنان ما كان يطمح إليه من مناصب أعلى، لذلك نجده يبني علاقة سرية مع أمير بيجاية[١٠]، على الرغم من إدراكه للنتائج التي قد تترتب على هذا السلوك ، إلا أن السلطان علم بذلك فغضب عليه وأودعه السجن عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م، مع أمير بيجاية مدة سنتين، رغم الوساطات وقصائد المدح والاستعطاف[١١].

وعلى الرغم من أن ابن خلدون يدرك أن مركب السياسة سيعرضه لمخاطر كثيرة ، إلا أن جاه السلطة ومذاقها كانا يشدانه دائماً للعمل السياسي دون أن يهمل ميله للعلم ، فكان يقول: "وكنت أسمو بطغيان الشباب إلى أرفع ما كنت فيه "[١٢]،وما أن خرج ابن خلدون من السجن حتى أخذ يبحث من جديد عن المراكز في الدواوين وبلاط الحكام ، فعاد إلى التقرب من السلطان أبي عنان، وقد وجد عنده الحظوة والتكريم فاستعمله في كتابة سره حتى اعتقل صديقه الوزير عمر بن عبد الله، فابتعد ابن خلدون عن بلاط السلطان واعتزله بعد أن غضب عليه وعلى صديقه. في هذا الوقت أخذت نفسه تراوده في العودة إلى إفريقية (تونس) ، في وقت كان فيه العلم يستهويه والشعر يراوده ، وكعادته دائماً كان إذا استقر في الديوان وفي بلاط السلطان يعطي كل ما عنده للسياسة، وعند فشله يكون العلم ملجأه وعزاؤه ،وكعادته أيضاً عندما كان يشعر بالجفاء من سلطانٍ أو أميرٍ يستأذن في الرحيل إلى آخر، لكن السلطان أبا سالم منعه من السفر تحاشياً لانضمامه إلى بلاد خصومه في تلمسان[١٣]. وبعد وساطات كثيرة وقصائد مدح، أذِنَ السلطان له بالسفر على أن لا يذهب إلى تلمسان؛ لذا توجه ابن خلدون عام ٧٧٤هـ/١٣٧٣م إلى الأندلس ،لِعلاقته الطيبة مع أميرها أبي عبد الله الأحمر فوجد منه ومن وزيره لسان الدين ابن الخطيب كل ترحيب وتكريم ، وأوكَلَ إليه القيام بمهام الوزير وقضاء حاجاته بالدولة. وكلفهُ مُهمة الصُلح بينه وبين أمير قشتالة فأحرز نجاحاً في ذلك. [١٤].

غير أن الخلاف وقع بينه وبين لسان الدين ابن الخطيب بسبب الوشايات بينهما ، مما دعاه للاستئذان من السلطان ابن الأحمر، مؤثِراً (مُفضلاً) المحافظة على حُسن العلاقة مع ابن الخطيب[١٥]، وفي تلك الفترة كان أمير بيجاية واسمه:عبد الله من بني واد قد استدعاه إليه حيث احتفل به وخرج الناس للقائه يُقبلون يديه [١٦].

تسلم ابن خلدون حجابة السلطان كما تولى شؤون الخطابة والتدريس في جامع القصبة وكعادته كانت الأحداث له في المرصاد، فلم يمضِ عام حيث تحققَ له بعضاً مما كان يستهويه ، حتى وقعت الفتنة ثم الحرب بين سلطان بيجاية ابن الأحمر وابن عمه أبي العباس سلطان قسطنطينة، انتهت بهزيمة ابن الأحمر وفراره[١٧]، ومع أن ابن خلدون استجاب لطلب ابن الأحمر بأن يجمع له الأموال وأن يتجول في القبائل البربرية لكسب التأييد له، إلا أن أبا العباس استطاع مطاردة ابن الأحمر وقتله، مما جعل ابن خلدون يُسارع إلى اللجوء إليه يعرض عليه مساعدته للاستيلاء على بيجاية، وقد حقق ابن خلدون عنده التكريم وثبته في موقعه الذي كان له مع أمير بيجاية[١٨]. وتعود الدسائس والوشايات في بيجاية من جديد لتنتزع من ابن خلدون استقراره وأمانه ؛ لذلك طلب منه أبي العباس مغادرة بيجاية ليتنقل بين القبائل فترة تحقق له دراسة أحوالها عن قرب، فأعطته فرصة قيمة للمقارنة بين البدو

والحضر، واستقر بعدها في تلمسان عند صاحبها "أبو حمو بن زيان" بعد أن بعث إليه برسالة يطلبه فيها ليقوم بحجابته وعلامته[١٩].

وبعدما عانى ابن خلدون –نتيجة العمل في الدواوين والبلاط– من الدسائس والوشاية والحسد ، نجدهُ يؤثِر التفرغ للعلم والتدريس بعد أن قَبِل السلطان أبو حمو بذلك[٢٠]، لكن ذلك لم يتحقق لابن خلدون – وهو الذي طبقت شهرته الآفاق ،وتنازعته الأمراء والسلاطين والوزراء – وضاقت نفسه حلاوة السلطة،فاستأذن أبا حمو ليعود إلى الأندلس، وفي الطريق تَعرضَ ابن خلدون لمحاولة سَلبٍ من بعض جنود السلطان عبد العزيز "صاحب المغرب الأقصى" فأخذوه إلى السلطان حيث عَنَفه على مفارقة ديارهم. واستعان به السلطان لفتح بيجاية ، فأجابه أملاً في استرضائه وإعفائه من العمل في ديوانه، فاستقر في بسكرة[٢١].

في بسكرة أقام ابن خلدون في قلعة بني سلامة [٢٢]، منذ عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، وهناك بدأ نتاجه الفكري والعلمي بعيداً عن مشاغل السياسة ومزالقها، وبعد تلك السيرة الطويلة المليئة بالفشل والنجاح وحلاوة السلطان ومرارته ، تكونت لديه ثروة من الخبرات والتجارب التي استمد منها آراءه ونظرياته، وفي هذه القلعة بدأ كتابة مقدمته في التاريخ، ونظراً لحاجته إلى المراجع استأذن أمير تونس العودة إليه، فأجابه إلى ذلك وعاد إلى مسقط رأسه بعد رُبع قرن من الزمن ، وقد قُوبلَ بالحفاوة والتكريم وتفرَغَ للكتابة مدة أربع سنوات[٢٣].

بعد أن أنجز مؤلفه أهدى نسخة منه إلى أمير تونس مما زاد في تقربه منه ، لكن الدسائس والوشايات عادت من جديد مما جعله يسأم حياة السياسة في بلاط الأمراء والسلاطين، فاستأذن السلطان أن يسمح له بأداء فريضة الحج[٢٤]، فوصل إلى الإسكندرية يوم عيد الفطر عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، ولما لم تُتح له فرصة السفر إلى مكة ، قصدَ القاهرة وهناك عمل في التدريس في الجامع الأزهر وغيره في المدارس المملوكية ، ثم ولاه السلطان برقوق منصب قاضي قضاة المالكية[٢٥]، وبما أن هذا المنصب يقع في دائرة التأثيرات السياسية فإن ابن خلدون تعرض للعزل والعودة إليه خمس مرات.

وبسبب صرامة ابن خلدون في الأحكام خلال توليه مهام القضاء ،فقد أثار إعجاب الكثيرين من جهة ومشاغبات الكثيرين من جهة أخرى ، وانقسم معاصروه في مصر بين المعجبين به كثيراً وبين الناقمين عليه نقمة عنيفة[٢٦].

أمضى ابن خلدون أربعة وعشرين عاماً من سني حياته الأخيرة في الدولة المملوكية ، وانحصر اشتغاله هناك في التدريس والقضاء ، واستظل بظل السلطان برقوق ،ثم ابنه الملك الناصر فرج، (٨٠٣ – ٨١٥هـ/١٤٠٠-١٤١٢م) ووجه كتابته لصالح المماليك، فنجده يُذكّـِر بأصولهم كرقيق كانوا يستجلبون من الشرق الأقصى للعمل عند الأيوبيين بمصر، ووجد فيهم ابن خلدون محاربين متمرسين واجه الإسلام بهم الغزو الصليبي[٢٧]، فكتب بإسهاب عن حكم الظاهر بيبرس (٦٥٩ – ٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) وحروبه واعتبره مؤسس دعائم إمبراطورية المماليك ، كما أسهب بالحديث عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٧١٠-٧٤٢هـ/١٣١٠-١٣٤١م) الذي وضع مؤسسات راسخة للدولة المملوكية وقدَمَ لائحة بأسماء كبار موظفي هذا السلطان[٢٨]، وأهم من هذا كله ما كتبه عن السلطان برقوق ؛ لأن الأمر يتعلق بشاهِد عَيان مباشرة ، إذ لا يذكر في هذا المجال مصادِرهُ [٢٩].

لم يتعرض ابن خلدون في تدوين تاريخه لحكم برقوق ، إلى المجاعات التي حلّت بمصر في عهد هذا السلطان ،كما أنه لا يورد أخباراً عن التجارة المهمة التي كانت تربط مصر ببلاد الهند عن طريق اليمن والتي كانت أساس قوة الدولة المملوكية، فتجارة التوابل والورق أوجدت فئة قوية من التجار كان لهم نفوذ في البلاد ، وهذه الفئة هي التي مَولت حملة برقوق ضد تيمورلنك[٣٠].

ومع إغفاله لهذه الجوانب فإنه ترك أول سيرة كاملة للسلطان برقوق، ولعل اهتمام ابن خلدون بالترك يعود إلى دورهم في تاريخ الإسلام ، وإلى هيمنتهم على المشرق في عصر هذا المؤلف ، وإلى التماثل (التشابه) في النمط الاجتماعي الذي وجده ابن خلدون بين بدو العرب والبربر من جهة وبين بدو الأتراك من جهة أخرى(٣١).

ومن مصر قام ابن خلدون برحلاته إلى الحجاز عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، ثم إلى دمشق عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م(٣٢)، وهو الوقت الذي كان تيمورلنك يستعد فيه للاستيلاء على بلاد الشام، وكانت هذه الرحلة الأخيرة في مسيرة ابن خلدون ومغامراته السياسية ،وفي طريق عودته من الشام إلى مصر تَعرضَ للسلب حتى ثيابه، وكانت عودته ليستقر بعدها في القاهرة إلى حين وفاته عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ويدفن في إحدى مقابر الصوفية.

وقد شارك ابن خلدون أثناء إقامته في مصر في الحياة العامة للمجتمع المصري ببُعدها الفكري والسياسي، وشارك في مناظرات وآراء دينية كانت مطروحة في حينه.

لقاء ابن خلدون مع تيمورلنك (٣٣) قائد المغول

تلخيص النص وتقسيمه:

١.قدوم تيمورلنك إلى بلاد الشام:

كان سفر ابن خلدون إلى دمشق عام ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م، عندما تقدم تيمورلنك بجيوشه للاستيلاء عليها بعد أن استولى على حلب واستباحها بشكل لم يعهده الناس من قبل(٣٤)، وكانت بلاد الشام حينئذ تابعة لسلطان المماليك في مصر، فأسرع السلطان فرج بن الملك الظاهر (٣٥) لصد المغير التتري وأخذ معه ابن خلدون فيمن أخذ من القضاة(٣٦) والفقهاء وكذلك الخليفة العباسي(٣٧).

كان ابن خلدون حينئذ معزولاً عن منصب القضاء، لذلك تردد في الخروج إلى بلاد الشام لولا إلحاح دوادار السلطان المملوكي الأمير يشبك الشعباني ، إذ يقول " وأرادني على السفر معه في ركاب السلطان فتجافَيتُ عن ذلك ، ثم أظهرَ العزم عليَّ بلين القول " (٣٨)، وفي ظاهر دمشق اشتبك جند مصر مع تيمورلنك في معارك محلية استمرت أكثر من شهر كانت الحرب بينهما سجالا(٣٩).

٢.حدوث فتنة:

يبدو في هذا الوقت أن أخباراً وصلت إلى السلطان المملوكي بأن بعض الأمراء حاولوا العودة إلى مصر للثورة فيها ، ووصف ابن خلدون ذلك بقوله : " ثم نمي الخبر إلى السلطان وأكابر أمرائه ، أن بعض الأمراء المنغمسين في الفتنة يحاولون الهرب إلى مصر للثورة فيها ، فاجمع رأيهم على الرجوع إلى مصر خشيةً من انتفاض الناس وراءهم ، واختلال الدولة بذلك "، فخشي انتفاض الناس هناك ، لذلك عاد بجيشه إلى مصر وبقي أهل دمشق حيارى في الأمر (٤٠).

٣.طلب الأمان من تيمورلنك:

اجتمع القضاة والفقهاء مع ابن خلدون في المدرسة العادلية ، بشأن طلب الأمان من تيمورلنك ورغم المعارضة على ذلك من قبل نائب القلعة ، فإن وفداً منهم ذهب إلى القائد التتري وقد وَثِقَ ابن خلدون هذا الموضوع بقوله : " وخرج القاضي برهان الدين بن مفلح الحنبلي ومعه شيخ الفقهاء ... فأجابهم إلى التأمين ... فأحسن لقاءهم ، وكتب لهم الرقاع بالأمان ، وردهم على أحسن الآمان ، واتفقوا معه على فتح المدينة من الغد ، وتصرف الناس في المعاملات ، ودخول أمير ينزل بمحل الإمارة منها ، ويملك أمرهم بعز ولايته " (٤١) ، فأعطاهم الأمان على أن يفتحوا المدينة وينزلها أمير يملك أمر الناس .

٤.دخول ابن خلدون على تيمورلنك وما دار بينهما من حوار:

يبدو أن خلافاً وقع بين بعض الناس وبين الفقهاء حول الأمان في المسجد الجامع ،أدى إلى اضطراب الأمور وتعقدها ، مما جعل ابن خلدون يخشى المبادرة على نفسه خاصة وأنه لم يذهب مع القضاة إلى تيمورلنك وان الأخير قد سأل عنه ، فذهب بمفرده إلى تيمورلنك متدلياً من السور[٤٢] ، وقد وصف حاله بقوله : " فلما وقفتُ بالباب خرجَ الإذن بإجلاسي في خيمة هنالك تجاور خيمة جلوسه ، ثم زيد في التعريف باسمي إني القاضي المالكي المغربي فاستدعاني ، ودخلتُ عليه بخيمة جلوسه ، متكئاً على مِرفقه ، وصِحاف الطعام تَمُر بين يديه ... فلما دخلتُ عليه فاتحتُ بالسلام وأوميتُ إيماءَة الخضوع ، فرفعَ رأسه ، ومدَ يده إليّ فقبلتها ، وأشار بالجلوس فجلستُ حيث انتهيت " ، وتحدثا طويلاً يترجم بينهما الفقيه عبد الجبار بن النعمان الحنفي [٤٣] حول أسباب ولايته للقضاء ، وأسباب قدومه من المغرب إلى مصر ، وبناءً على طلب تيمورلنك ، كتبَ ابن خلدون عن بلاد المغرب وأحوالها أقاصيها وأدانيها وجبالها وأنهارها وقراها ومدنها مثل: طنجة وسبتة وفاس وسجلماسة ،وموقع كل منها. في اثنى عشرة كراسة من الكراريس المنصفة القطع[٤٤]، فوقع ذلك منه أحسن المواقع.

روى ابن خلدون أنه لما أصابه الخوف بما وقع من نكبة قاضي القضاة "صدر الدين المناوي" الذي أسره التابعون لعسكر المماليك وحُبس في طلب الفدية منه ، أخذ يتلطف تيمورلنك بتعظيم أحواله ومُلكه ويُطنب في مدحهِ وأنه يتمنى لقائه منذ أكثر من ثلاثين عام ، وعندما سُئل ما سبب ذلك : قال : " أمران ، الأول إنك سُلطان العالم ، ومِلك الدنيا ، وما اعتقد انه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد ملكُ مثلكَ ، ولستُ ممن يقول في الأمور بالجُزاف ، فاني من أهل العلم ... وأما الأمر الثاني... فهو ما كنتُ أسمعهُ من أهل الحدثان بالمغرب ، وذكرتُ ماقصصته من ذلك فقبل "[٤٥]، ويتنبأ ابن خلدون له في مستقبله بمُلكٍ عظيم مستدلاً على صحة تنبؤاته بأقوال المنجمين والمتنبئين بالغيب[٤٦]، وعلل ابن خلدون تمنيه للقاء تيمورلنك بأنه كان سلطان العالم وملك الدنيا وأنه لم يظهر في الخليقة منذ آدم مثله[٤٧]. وأبرزَ أثر العصبية في قوة المُلك. وكيف أن الترك – الذين منهم تيمورلنك – زاحموا الفُرس وانتزعوا مُلكهم في خراسان. وهذا شاهِد على نصابهم من المُلك وأنه لا يساويهم أحد من ملوك الأرض من كسرى أو قيصر أو الأسكندر أو بختنصر[٤٨]–كما يقول ابن خلدون– كما علل ابن خلدون تمنيه للقاء تيمورلنك بما سمعه عن المُنجمين الملهمين من المتنبئين بالغيب حول حوادث العالم وتنبؤه لتيمورلنك بمُلك عظيم[٤٩]، وتعقيباً على إجابة ابن خلدون حول نسب بختنصر الفارسي – كما يقول البعض– وأنه من ولد منوشهر. قال تيمورلنك : "ومنوشهر له علينا ولادة من قبل الأمهات " ثم أفضتُ مع التُرجمان في تعظيم هذا القول منه ،وقلتُ له : "وهذا مما يجعلني على تمني لقائه " [٥٠].وهذا ما دفع ابن خلدون إلى القول: "وهذا ما يحملني على تمني لقائه"[٥١].

٥.فتح باب دمشق ودخول تيمورلنك إليها:

في الوقت الذي ظهر فيه خِلاف في الرأي بين ابن خلدون وتيمورلنك حول نسب بختنصر، وطلب تيمورلنك إحضار تاريخ العرب والعجم ليناظر بها، جاء الخبر بفتح باب دمشق فحمل تيمورلنك على فرسه وضُربت الآلات احتفاءً بذلك وتوجه إلى دمشق ونزل عند باب الجابية حيث دخل إليه القضاة والأعيان ومن جملتهم ابن خلدون[٥٢]. وبعد أن صرفهم أشار إلى ابن خلدون بالجلوس حيث حضر مناظراته مع المهندسين ، حول إذهاب الماء الدائر بحفير القلعة لعلهم يعثرون بالصناعة على منفذه[٥٣].

٦.حصار القلعة واستباحة المدينة:

حاصر المغول قلعة دمشق لان نائب القلعة المملوكي رفض تسليمها اليهم ، ووصف ابن خلدون الحصار ، وما فعله المغول في القلعة والمدينة ، بقوله : " ثم اشتد في حصار القلعة ، ونصب عليها الآلات من المجانيق ، والنفوط ، والعرادات ، والنقب ، فنصبوا لأيام قليلة ستين منجنيقاً إلى ما يشاكلها من الآلات الأخرى ، وضاق الحصار بأهل القلعة ، وتهدم بناؤها من كل جهة ، فطلبوا الأمان

وكان بها جماعة من خدام السلطان ومخلفه ، فأمنهم السلطان تمر [٥٤] وحضروا عنده ، وخرب القلعة وطمس معالمها ، وصار أهل البلد على قناطير من الأموال استولى عليها بعد أن اخذ جميع ماخلفه صاحب مصر هنالك ، من الأموال والظهر والخيام ، ثم أطلق أيدي النهابة على بيوت أهل المدينة ، فاستوعبوا أناريسها ، وأمتعتها ، وأضرموا النار فيما بقي من سمط الأقمشة ، فاتصلت النار بحيطان الدور المدعمة بالخشب ، فلم تزل تتوقد إلى أن اتصلت بالجامع الأعظم ، وارتفعت إلى سقفه ، فسالَ رصاصه ، وتهدمت سقفه وحوائطه ، وكان أمراً بلغ مبالغة في الشناعة والقبح ،" [٥٥].

٧.المطالبة بالخلافة وحوار ابن خلدون و تيمورلنك حولها:

أثناء مقام ابن خلدون عند تيمورلنك خرج إليه من القلعة رجل من أعقاب الخلفاء بمصر من ذرية الحاكم العباسي أحمد بن أبي علي العباسي، وطلب منه أن ينصفه ويعطيه منصب الخلافة[٥٦]. فقال تيمورلنك: "أنا أحضر لك الفقهاء والقضاة فإن حكموا لك بشيء أنصفتك فيه"[٥٧]، فاجتمع الفقهاء والقضاة –وكان من بينهم ابن خلدون– فحكموا لغير صالحه بعد نقاش طويل ، وعندما سأل تيمورلنك ابن خلدون عن الذي أوصلَ الخلافة لبني العباس، شرح له موقف الفرق الإسلامية من الخلافة وآراءهم فيها من خوارج وسنة وشيعة، كما شرح لتيمورلنك كيفية انتقال الإمامة من العلويين إلى البيت العباسي وأساليب الدعوة العباسية، ونجاح هذه الدعوة في الاستيلاء على خراسان والعراق. ثم أوضح كيف آلت الخلافة إلى السفاح وتعاقبَ الخلفاء العباسيين حتى آلت إلى المستعصم آخر خلفائهم إلى أن استولى هولاكو على بغداد وقتله، ثم افترق قرابته ولحق بعضهم بمصر وهو أحمد الحاكم فنصبه الظاهر بيبرس بمصر بممالأة أهل الحل والعقد من الجند والفقهاء وانتقل الأمر في بيته إلى هذا الذي بمصر، فقال تيمورلنك: " قد سمعت مقال القضاة وأهل الفتيا وظهر أنه ليس لك حق تطلبه عندي وصرفه" [٥٨].

تقديم الهدايا إلى تيمورلنك وطلب الأمان إلى المخلفين:

كان ابن خلدون عندما لقي تيمورلنك قد قدم له هدية[٥٩] ، هي عبارة عن مُصحف وسجادة ونسخة من قصيدة البُردة المشهورة للبوصيري الصنهاجي [٦٠] في مدح الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأربع عُلب من حلاوة مصر الفاخرة ،فقبلها تيمورلنك وأظهرَ الرضا من الهَدية ، قال ابن خلدون : " ففتحتُ المصحف فلما رآه وعرفهُ ، قام مبادراً فوضعه على رأسه ... ثم ناولتُه السجادة ، فتناولها وقبلها "[٦١]،كما أن ابن خلدون طلب الأمان له وللمخلفين عن سلطان المماليك من القراء والموقعين وأصحاب الدواوين والعمال، فكتب لهم تيمورلنك بذلك[٦٢]، وبينما كان ابن خلدون في مجلس تيمورلنك يوماً عرض عليه الأخير العودة إلى مصر ، وفي هذا الصدد قال : " ثم دخلتُ عليه يوماً آخر فقال لي : أتسافر إلى مصر ، فقلت : أيدك الله ، رغبتي إنما هي أنت ، وأنت قد أويت وكفلت ، فان كان السفر إلى مصر في خدمتك فنعم ، وإلا فلا بغية لي فيه ، فقال لا ، بل تسافر إلى عيالك وأهلك" وعندما عزم ابن خلدون على الرحيل عن الشام، عرض عليه الغازي التتري أن يبيعه بغلته، غير أن ابن خلدون رفض أن يبيعها له وإنما وهبها له مقابل إحسانه إليه [٦٣].

٨.عودة ابن خلدون إلى مصر:

في طريق عودة ابن خلدون الى مصر اعترضه ومن معه جماعة قطعوا عليهم الطريق ونهبوا ما معهم وسلبوا كل شيء حتى ملابسهم. فلجأوا إلى قرية هناك ولبسوا الملابس من عند أهلها ثم واصلوا سفرهم إلى مصر، فوصلها ابن خلدون في شعبان عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م[٦٤].

كان سلطان المماليك قد بعث إلى تيمورلنك سفيراً يطلب منه الصلح ، فوصله بعد عودة ابن خلدون إلى مصر ، فبعث تيمورلنك معه إلى ابن خلدون ثمن البغلة التي أهداها إليه[٦٥]،وبعد أن وصل ابن خلدون إلى مصر قال: "وحمدتُ الله على الخلاص من ورطات الدنيا " [٦٦]، بعد أن أقام عند سلطان المغول خمساً وثلاثين يوماً.

٩.رسالة ابن خلدون إلى صاحب المغرب:

في نهاية هذه الرحلة كتب ابن خلدون إلى صاحب المغرب رسالة زوده فيها بأخبار الشرق ، ووصف له سياسة المغول في البلدان التي احتلوها مثل : بلاد الروم والعراق. وكيف أن جنوده خربوا المدن التي استولوا عليها وعاثوا فيها بما لم يسمع أشنع منه(٦٧). ثم وصف له كيف أن سلطان مصر نهض في عساكره لاستنقاذها. وشرح له سبب عودته إلى مصر بعد أن تَخلفَ الكثير من أمرائه وقضاته ومن بينهم ابن خلدون. كما شرح له لقاءه مع تيمورلنك وإقامته هناك حتى عاد إلى مصر(٦٨).

وتطرقَ ابن خلدون أيضاً إلى تاريخ المغول وموطنهم الأصلي ، وكيف أن ملكهم جنكيز خان مدَّ مُلكه من المشرق حتى عراق العرب ثم قسمه بين أبنائه(٦٩) ،وأشار إلى أن هولاكو مَلكَ بغداد وعراق العرب ثم زحف إلى الشام ومَلكَها ورجع عنها ، وزحفَ إليها بنوه مِراراً بينما دافعَ عنها الترك حتى زال ملك بني هولاكو عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م. ثم مَلكَ بعدهم الشيخ حسن النوين وافترق مُلكهم في طوائف، وخَفّت نقمتهم عن ملوك الشام ومصر(٧٠). وخلال المدة (٧٧٠- ٧٨٠هـ/١٣٦٨-١٣٧٨م) ظهر في ما وراء النهر أمير اسمه : تيمورلنك ،وشهرته عند الناس : تمر ، استولى على ممالك التتر وعاث في نواحيها الفساد وخرب حصونها، وذكر صفاته واتجاهاته(٧١).

تحليل نص لقاء ابن خلدون مع تيمورلنك

يبدو أن لقاء ابن خلدون بتيمورلنك له دلالة خاصة، إذ كان التتر في ذلك الوقت بقيادة هذا الغازي ينجزون واحداً من الخروجات (الهجرات) التاريخية لشعب الترك ، حين انطلقَ من مجاله الجغرافي في الشمال متوجهاً نحو الجنوب ، وكان ابن خلدون قد اهتم كثيراً بهذا الخروج ويدل على ذلك كثرة مصادر أخباره المكتوبة والشفوية. وقد أبدى ابن خلدون اهتمامه حتى قبل أن يلتقي بتيمورلنك. ونجد في كتابه (العبر) تاريخاً لتيمورلنك يقف عند عام ٧٩٧هـ/١٣٩٥م، أي قبل لقائه بالغازي التتري، ويستأنف هذا التاريخ في كتابه : (التعريف بابن خلدون) بعد هذا اللقاء(٧٢)، مما يدل على أنه أنجز قبل لقائه بتيمورلنك سيرةً لهذا الغازي كان يقرؤها عليه في حضرته ، مما يثير إعجاب القائد الذي يسأله عن مصدر أخباره(٧٣).

ومن دراسة الأحداث التي أوردها ابن خلدون إثر قدوم تيمورلنك إلى بلاد الشام وما أصاب المدن، نستدل أن ابن خلدون رسم لنا صورة للأتراك تُبين أنهم شعب مُدمِر للعمران عاثوا فساداً في المدن من النهب والمصادرة واستباحة الحرم ما لم يعهده الناس من قبل (٧٤)، الأمر الذي يثير في الذهن أن ذاكرة ابن خلدون التاريخية قد حفظت اجتياح المغول لعاصمة الدولة الإسلامية بغداد وتدمير معالمها وإحراق معالم الحضارة فيها.

وهذه الخاصية وإن كانت مشتركة بين شعوب البدو جميعها ، إلا أن ابن خلدون قد أبرزها بالنسبة للترك ؛ لأن الأمر يتعلق باجتياح هؤلاء للعالم الإسلامي ونشر الدمار فيه.ونستشف من موقف ابن خلدون مع سلطان المماليك وتردده – في البداية – من مرافقته لبلاد الشام ؛ لصد المغير التتري، أن ذلك يعود لعزوفه عن مرافقة السلطان بصفة غير رسمية لا يكون له من الرأي أو الأمر شيء،علماً أن السلطان المملوكي أخذ معه الفقهاء والقضاة(٧٥).

وقد أكدت لنا المعارك التي دارت بين المغول والجند المملوكي ، في ظاهر (خارج) دمشق – والتي أثبت فيها المصريون قدرتهم على منع التتر من مهاجمة دمشق لمدة تزيد عن الشهر– أكدت تصميم المماليك على التصدي للغزاة واعتزازهم بأنهم قادرون على ذلك، غير أن المؤامرة التي اكتشفت بين أمراء المماليك في مصر ؛ اضطرت السلطان المملوكي للعودة إلى مصر وتركت أهل دمشق حيارى ، هي التي قلبت الأوضاع(٧٦).

ونرجح أن سوء أحوال مصر الاجتماعية وأثر المجاعة التي اجتاحت مصر آنذاك(٧٧)، فضلاً عن نفوذ طبقة التجار في البلاد السلطاني ، كل ذلك كان له أثر فيما حدث وزاد من خوف السلطان المملوكي وأمرائه؛ فأسرعوا بالعودة للحفاظ على الحكم.

يبدو لنا أن مكانة ابن خلدون المرموقة هي التي دفعت العلماء والفقهاء إلى دعوته للاجتماع معهم بمدرسة العادلية بدمشق ؛ ليكون رسولهم إلى تيمورلنك وذلك لطلب الأمان منه(٧٨)، ومع أن ابن خلدون لم يقبل ذلك حتى ولو معهم واقتصر الوفد على القاضي برهان الدين الحنيفي(٧٩)، وبعض شيوخ القراء، إلا أننا لا نعرف السبب الذي منعه أو الهدف الذي كان يقصده ، علماً أن تيمورلنك كان قد سأل عنه وفد العلماء والفقهاء(٨٠).

ونستدل من سؤال تيمورلنك عن ابن خلدون ، أن الأخير كان معروفاً في دائرة هذا الغازي وأنه كان يتزود بأخبار الرجال العِظام ويرغب في مجالستهم. وهذه من صفات عِظام الرجال والقادة كما أننا لا نستبعد أن يكون تيمورلنك الذي ادعى الإسلام على المذهب الشيعي مُلماً يُلم بمشاهير العلماء والفقهاء، وأن مُترجمهِ الفقيه عند الجبار بن النعمان أحد فقهاء الحنفية ، هو الذي زوده بمعلومات عن ابن خلدون؛ لذلك جاء استفساره عن مكان ابن خلدون.

ونرجح أن الخوف هو الذي دفع ابن خلدون إلى أن يغامر فيذهب لمقابلة تيمورلنك ، فقد خشي أن يُنسِب إليه تدبير الانقلاب وبخاصة أنه قد تخلف عن الذهاب إليه مع وفد العلماء والقضاة، فقد هالهُ التدمير الذي كان يُخلفهُ جيش المغول في كل مكان يمر فيه، خصوصاً أن تدمير حلب كان قريب عهد، حيث نُهبت واحترقت عن آخرها، فأراد ابن خلدون أن يسبق الأحداث فترك دمشق متدلياً من السور قاصداً معسكر تيمورلنك المحاصِر لها قبل أن يحل بها ما حَلّ بحلب(٨١).

يتضح لنا من الحديث الذي دار بين ابن خلدون وتيمورلنك حول بلاد المغرب، أن تيمورلنك كان يستهدف استدراج ابن خلدون في الحديث ؛ للحصول على معلومات وافية عنها ليؤكد الغرض المهم في نفس تيمورلنك.ويمكننا لقول أن الغازي التتري ربما رسم في ذهنه مخططاً للوصول إلى شمال أفريقيا ؛ ليحافظ بذلك على بلاد الشام ولتكون له نقطة انطلاق إلى مناطق أخرى، لتحقيق طموحاته الكبيرة.

ومن خلال الموقف الودي الذي وقفه تيمورلنك مع ابن خلدون واحتفائه وترحيبه به ومحاورته إياه ،يمكننا أن نربط ذلك بمكانة ابن خلدون العلمية من جهة ورغبة تيمورلنك في الاستفادة من علمه الغزير من جهة أخرى، وقد لاحظَ أن معسكر تيمورلنك بَدوي صرف ؛ لذلك أظهرَ لهذا الغازي عند استقباله إياه تمرسه بطقوس البلاطات المتحضرة ،مما أثار إعجابه وجعله يحترمه ويُكبره ،وإذا افترضنا أن ما كتبه ابن خلدون لتيمورلنك حول بلاد المغرب يُعَد اشتغالاً للخصم ، فإن التفسير الأكثر لذلك هو نزعة ابن خلدون نحو التقرب من الحكام والسلاطين وحبه للشهرة والعظمة وأمله في نيل الحظوة لدى تيمورلنك.

يبدو أن ابن خلدون قد عاودهُ الحنين إلى المغامرات السياسية، فكان يعلق على صلته بتيمورلنك آمالاً أخرى، غير الذي حصل عليه في شأن دمشق وشأن زملائه العلماء،وفي اعتقادنا أنه كان يرجو الانتظام في بطانة تيمورلنك ليحقق طموحاته ويشبع غريزته في السلطة، وأثناء حديث ابن خلدون مع تيمورلنك يبدو أنه أنِس فيه سذاجة وحباً للمديح فأخذ ينفخ فيه بكبرياء، ويطنب في مدحه ويذكر تنبؤه له بمستقبل ومُلك عظيم، مستدلاً بما سمعه من أقوال المنجمين والمتنبئين بالغيب، مثل قوله: "... وما أعتقد أنه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد مثلك ولستُ ممن يقول في الأمور بالجزاف فإني من أهل العلم"(٨٢).

في هذا المقام تختفي موضوعية ابن خلدون ويظهر نفاقه عن طريق الإطناب في مدح تيمورلنك ومبالغته في تعظيمه، فنجده يبرز عصبية الذين يعد التتر منهم ، ويقول: " ولا يساويهم في

عصبيتهم أحد من ملوك الأرض من كسرى أو قيصر أو الاسكندر أو بختنصر(٨٣). فلما أجابه بأنه من النبط على رأي ومن الفُرس على رأي آخر، رجح تيمورلنك الرأي الثاني الذي يرجعه إلى منوشهر الذي له صلة مع الترك من قبل الأمهات.

يتبين من ذلك أن تيمورلنك أراد أن يربط بختنصر الملك العظيم مع الترك نسباً ليدلل على عظمة نفسه ، وان الترك شعب عظيم ، كما أننا نستنتج من مناقشات تيمورلنك مع ابن خلدون حول عظام القادة مثل : الاسكندر وكسرى وقيصر وبختنصر، أن تيمورلنك كان على علم بالأنساب ومعرفة بأخبار الأمم. وهي من صفات القادة في التاريخ. ومما أورده ابن خلدون حول ما كان يعطيه تيمورلنك لممثلي سكان المدن من أمان وترحيبه بهم، ثم ما كان يسمح لجنده بعد ذلك به من النهب والسلب والقتل والتخريب ، شاهداً على أن هذا الغازي كان يستدرج الناس عند الفتح ويظهر لهم الود ثم بعد ذلك يتبع أساليب الإرهاب والتخويف. ومع أن هذه سمة العناصر غير المتحضرة في الحروب ، التي منها الأتراك، فإن تيمورلنك لا بد أنه قصد من وراء هذا العنف إرهاب الشعوب وتحطيم معنوياتهم ليستسلموا بسهولة، وهذه الأعمال تمثل الصورة الحقيقية(٨٤)، التي رسمها المؤرخون –ومنهم ابن خلدون–للأتراك، وهي صورة شعب مُدمِر للعمران .

من خلال الموقف الذي طرأ أثناء مقام ابن خلدون عند تيمورلنك حول الخلافة واستحقاقها ، حين التجأ أحد دعاتها العباسيين إلى الغازي التتري طالباً منه النصفة(٨٥) ، نجد أن ابن خلدون استطاع بحنكته أن يفك هذا النزاع، باستخدام نظريته في العصبية ليقوم بعرضٍ أمام تيمورلنك مبرراً بها ظهوره ونجاح فتوحاته والدور التاريخي لشعب الترك(٨٦).

إن استماع تيمورلنك لرأي العلماء والفقهاء من جهة ولرأي ابن خلدون من جهة أخرى حول مسألة الخلافة الإسلامية فيها ، وانتقالها من العلويين إلى العباسيين، يدل على تظاهر تيمورلنك بتحكيم الشرع الإسلامي في أمر الأمة ؛ ليدلل من خلاله على أنه يُطبق العدل من طرف واحد دائماً على رأي ممثلي الأمة من العلماء والفقهاء، لذلك فإن تيمورلنك بعد أن استمع إلى الرأي المقنع لابن خلدون قال لطالِب الخلافة: "قد سمعت مقال القضاة وأهل الفتيا وظهر أنه ليس لك حق تطلبه عندي فانصرف راشداً (٨٧)، ويستشف من هذا القول أن تيمورلنك أصبح الآمر والناهي والقادر على تعيين الخلفاء والحكام.

وعلى الرغم من كل ما جرى وما دار بين تيمورلنك وابن خلدون ، فإنه يبدو أن ابن خلدون لم يُوفَق في تحقيق ما كان يأمله من تيمورلنك ، فلم تمض أسابيع قلائل حتى سئم البقاء في دمشق واستأذن تيمورلنك في العودة إلى مصر ، وفضلاً عن إخفاقه في الوصول إلى هدفه فإن هذه الرحلة إلى الشام كانت مَغرماً كبيراً له، فقد تجشم في أثنائها هديتين قدمهما إلى تيمورلنك. ومع أن تقديم الهدايا كانت عادة متأكدة في لقاء ملوك التتر، يمكن أن تكون اختباراً لتيمورلنك عن مدى التزامه بالإسلام وتقديره لمظاهر هذا الدين ، وما قيل حول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس الرضا الذي أظهره تيمورلنك عند تقديم الهدية إليه ، إلا دلالة على تقديره لابن خلدون الذي لمس منه ما لم يلمسه من غيره من علم ودراية.

ومع أن الهدف الظاهر من محاولة تيمورلنك شراء بغلة ابن خلدون ، يبدو على أنه تقديم الرشوة له بطريقة غير مباشرة على ما قدمه له من معلومات ، فإن الرأي الذي نميل إليه –أكثر من غيره –هو محاولة تيمورلنك مكافأة ابن خلدون بطريقة غير مباشرة ، تتلاءم ونظرة تيمورلنك إلى رجل عالِم ومؤرخ كبير مثل ابن خلدون ؛ ودليل ذلك أن تيمورلنك بعث بثمن البغلة إلى ابن خلدون بعد أن وصل إلى مصر. ويدل رفضه (ابن خلدون) تسلم المبلغ إلا بإذن سلطان المماليك على دقة ابن خلدون في مراعاة التقاليد والآداب المرعية في القصور السلطانية، ولعله كان يخشى أن يُتهم بأن تيمورلنك قدّم إليه رشوة أو مكافأة على عمل أداه ضد سلطان المماليك.

ونستنتج من قول ابن خلدون: "وحمدتُ الله على الخلاص"(٨٨). على أن إقامته عند تيمورلنك لم تكن في جو من الاطمئنان النفسي ، وإنما كانت رهبة من بطشه وتحاشياً لفتكه.

أما ما لقيه ابن خلدون من بعض القبائل التي قطعت الطريق عليه ونهبت ما معه حتى اللباس ، فإنما يدل على اضطراب حبل الأمن وضعف السلطة المركزية في المناطق الواقعة بين بلاد الشام ومصر، وهي منطقة فلسطين. كما أشار إلى انتشار الفقر وتدهور الحياة الاقتصادية وضعف الموارد. ومن مطالعة الخطاب الذي بعث به ابن خلدون إلى سلطان المغرب حول رحلته إلى بلاد الشام، وما شرح فيه من تاريخ التتر وأخبار تيمورلنك وصفاته، نرجح أن ابن خلدون ربما حصل على أخبار موثقة عن قوة المغول وقدرتهم وقيادتهم ، فبعث بها إلى سلطان المغرب ؛ ليأخذ حذره وليحتاط من خطرهم.

الهوامش

(١).ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م، ص٣.

(٢).المصدر نفسه، ص ٤-٦ .

(٣).المصدر نفسه، ص ١٧ .

(٤).المصدر نفسه، ص ٥٧ .

(٥).المزيد من المعلومات عن حياة ابن خلدون ونشأته انظر :المصدر نفسه ص ١٨-٥٦ .

(٦).من أساتذته في اللغة العربية: الشيخ أبو عبد الله بن العربي الحصايري ، كان إماما في النحو ، وأبو عبد الله بن الشواش الزرزالي ، وأبو العباس أحمد بن القصار، وأبو عبد الله محمد بن بحر - إمام العربية والأدب في الأندلس . التعريف بان خلدون، ص١٩-٢١ .

(٧).من أساتذته في الفقه والحديث إمام المحدثين: شمس الدين أبو عبد الله بن جابر القيسي، وأبو عبد الله الجياني، وأبو القاسم محمد بن القصير شيخ الفتيا في المغرب، وأبو عبد الله محمد بن سليمان السطي،وأبو محمد بن عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي . التعريف بابن خلدون، ص٢١.

(٨).كانت مهمة كتابه (العلامة) كما قال ابن خلدون : "وضع الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم " . التعريف بابن خلدون، ص٥٧.

(٩).المزيد من المعلومات انظر : المصدر نفسه ، ص ٥٧ -٧٠ .

(١٠). بيجاية: مدينة تقع في الجزائر، الحموي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٤م ج١/ ٣٣٩-٣٤٠.

(١١).التعريف بابن خلدون ص٦٩-٧٠.

(١٢).المصدر نفسه، ص ٨٠.

(١٣).كان على تلمسان في ذلك الوقت بنو عبد الواد من الحفصيين الذين كانوا على نزاع وخصومة مع المرينيين . (تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ج١٣، ص٢٢٥ وما بعدها).

(١٤).التعريف بابن خلدون، ص ٨٤-٩٠.

(١٥).المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٦).المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠.

(١٧).المزيد من المعلومات انظر : المصدر نفسه ، ص٩٩- ١٠٧.

(١٨). المصدر نفسه، ص ١٠٦-١٠٧.

(١٩). المصدر نفسه، ص ١٠٧-١٤٤.

(٢٠). المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢١). بسكرة: بلد بالمغرب من نواحي الزاب فيها نخل وشجر وهي ذات أسواق وحمّامات .الحموي ، معجم البلدان، ج١،ص٤٢٢.

(٢٢). قلعة بني سلامة: تقع على بُعد خمس كيلو مترات من مدينة فرندا الحالية التابعة إلى مقاطعة وهران في الجزائر ، وأطلال القلعة شاخصة إلى الأبصار هناك.

(٢٣). التعريف بابن خلدون، ص ١٤٤-١٦٧ ، ٢٦٢-٢٦٤ .

(٢٤). المصدر نفسه، ٢٦٤-٢٦٧ ، ٣٨٣ ،٤٢٩ .
(٢٥). المصدر نفسه، ص ٢٦٤ ،٢٧٣-٢٨٠ ،٣٠٤-٣٤٣.
(٢٦). المصدر نفسه، ص ٢٦٤-٢٦٧ ، ٣٨٣ ، ٤٢٩.
(٢٧). تاريخ ابن خلدون ، ج٥ /٨٢١ وما بعدها .
(٢٨). المصدر نفسه، ج٥، ص ٩٥٠.
(٢٩). نادراً ما يذكر لتاريخ المماليك مصادره.
(٣٠). التعريف بابن خلدون ، ص ٢٤٢ .
(٣١). تاريخ ابن خلدون، ج٧، ص ٣٧٥ وما بعدها.
(٣٢). المصدر نفسه، ص ٣٨٦-٤٠٧ .
(٣٣). تيمورلنك: هو تمرلنك وقيل تيمور ، كلاهما بمعنى واحد ، والثاني افصح ، مولده عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م بقرية تسمى : خواجا ايلغار من عمل كش أحد مدائن ما وراء النهر ، وقيل : كان والده إسكافاً ، بل كان أميراً عند السلطان حسين صاحب مدينة بلخ ، وكان أحد أركان دولته ، سمي تمرلنك ؛ لأن لنك باللغة العجمية : أعرج ، أما اسمه الحقيقي فهو : تمر ، بلا (لنك) ، فلما أصبح أعرجاً أضيفت اليه (لنك) . ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، (ت : ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) . النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (القاهرة ، د.ت) ، ص٢٥٤-٢٥٥ .
(٣٤). التعريف بابن خلدون، ص ٣٦٥.
(٣٥). هو الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر (المقريزي، السلوك، ج٣، ٣٩٢٩).
(٣٦). القضاة الذين أخذهم سلطان مصر معه هم: صدر الدين المناوي الشافعي، نور الدين علي بن الخلال المالكي، موفق الدين ابن الحنبلي، التعريف بابن خلدون، ص٤٠٧.
(٣٧). المتوكل على الله.
(٣٨). التعريف بابن خلدون، ص ٤٠٦.
(٣٩). المصدر نفسه ، ص ٤٠٦-٤٠٧.
(٤٠). المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ انظر ايضاً : المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٢٧.
(٤١). التعريف بابن خلدون ، ص ٤٠٨.
(٤٢). المصدر نفسه ، ص ٤١١.
(٤٣). هو عبد الجبار بن النعمان المغربي ، أحد خواص تيمورلنك الذين طافوا معه البلاد و أهلكوا العباد وأظهروا الظلم والفساد . التعريف بابن خلدون ، ص٤٠٨-٤٠٩ .
(٤٤). المصدر نفسه ، ص٤٠٩-٤١٢ .
(٤٥). المصدر نفسه، ص ٤١٤.
(٤٦). المصدر نفسه، ص ٤١٤-٤١٥.
(٤٧). المصدر نفسه ، ص٤١٤ .
(٤٨). المصدر نفسه ، ص٤١٤-٤١٥ .
(٤٩). المصدر نفسه، ص ٤١٥.
(٥٠). المصدر نفسه، ص٤١٥-٤١٦ .
(٥١). المصدر نفسه، ص ٤١٥.
(٥٢). المصدر نفسه، ص ٤١٦.
(٥٣). المصدر نفسه، ص ٤١٧ .
(٥٤). هو اسم السلطان تيمورلنك . راجع هامش (٣٣) وإحالة رقم (٧١) وهامشها من هذا البحث .
(٥٥). المصدر نفسه، ص ٤١٧-٤١٦.
(٥٦). المصدر نفسه، ص ٤١٧.
(٥٧). المصدر نفسه، ص ٤١٧-٤١٨.
(٥٨). المصدر نفسه، ص ٤١٨-٤٢٠.
(٥٩). وهي عادة متأكدة في لقاء ملوك المغول .المصدر نفسه ، ص٤٢١.

(٦٠).هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي المتوفى عام ٦٠٨هـ/١٢١٢م.محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، محمد محيي عبد الحميد،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٥١م، ج٢،ص ٢٠٥- ٢٠٩.
(٦١).التعريف بابن خلدون: ص ٤٢١-٤٢٢.
(٦٢).المصدر نفسه، ص ٤٢٢.
(٦٣).المصدر نفسه، ص ٤٢٣.
(٦٤).المصدر نفسه، ص ٤٢٤.
(٦٥).المصدر نفسه، ص ٤٢٤-٤٢٥.
(٦٦).المصدر نفسه، ص ٤٢٥.
(٦٧).المصدر نفسه، ص ٤٢٥.
(٦٨).المصدر نفسه، ص ٤٢٥-٤٢٦.
(٦٩).المصدر نفسه، ص ٤٢٦.
(٧٠).المصدر نفسه ، ص ٤٢٦-٤٢٧.
(٧١).المصدر نفسه ، ص ٤٢٧.
(٧٢). المصدر نفسه ، ص ١١٣.
(٧٣). المصدر نفسه، ص ٤٢٦-٤٢٨.
(٧٤). المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ .
(٧٥). خرج السلطان الملك الناصر ومعه الخليفة العباسي المتوكل على الله والقضاة : صدر الدين المناوي الشافعي والقاضي نور الدين بن علي الخلال المالكي والقاضي موفق الدين بن الحنبلي.المصدر نفسه ، ٤٠٦-٤٠٧.
(٧٦). المصدر نفسه ،٤٠٧-٤٠٨ .
(٧٧). المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة (تاريخ المجاعات في مصر)، دار الوليد، دمشق، ص ٤٠-٤١ .
(٧٨). التعريف بابن خلدون: ص ٤٠٨.
(٧٩). هو برهان الدين بن إبراهيم بن محمد بن مفلح وكان يحسن اللغتين التركية والفارسية، ولعلمهم بذلك اختاروه للوساطة . التعريف بابن خلدون ، ص ٤٠٨ ، ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٢٣٦ .
(٨٠). التعريف بابن خلدون: ص ٤٠٨ .
(٨١). المصدر نفسه، ص٤٢٨ .
(٨٢). المصدر نفسه، ص ٤١٣-٤١٦.
(٨٣). المصدر نفسه، ص ٤١٥-٤١٦.
(٨٤). المصدر نفسه، ص ٤٢٨.
(٨٥). المصدر نفسه، ص ٤١٧-٤١٨.
(٨٦). المصدر نفسه، ص ٤١٨-٤٢٠.
(٨٧). المصدر نفسه، ص ٤٢٠.
(٨٨). المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

المصادر

* ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري الملقب : عز الدين، (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .
١.الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
* ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي ، (ت : ٩٣٠هـ /١٥٢٣م) .
٢.بدائع الزهور في وقائع الدهور،٤ أجزاء،تحقيق:محمد مصطفى زيادة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٨٣م.
* ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي ، (ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .
٣. النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، ج١٢، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
* الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) .
٤. معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٤م .
* الحميري، محمد بن عبد المنعم ، (ت:٩٠٠هـ/١٤٩٤م) .
٥. الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق : إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي ، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) .
تاريخ ابن خلدون المسمى : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ مجلدات ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.
التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م.
مقدمة ابن خلدون، القاهرة، ١٩٦٦م.
* الكتبي، محمد بن شاكر ، (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) .
فوات الوفيات، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، ١٩٥١م.
* المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ، (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .
١٠. إغاثة الأمة بكشف الغمة ، أو: تاريخ المجاعات في مصر، دار الوليد، دمشق ، د.ت.
١١. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

Abstract

The Meeting between Tymourlank and Ibn- Khaldoon Critical Study

The research dealt with the historical meet between Tymourlank and Ibn- Khaldoon and it also dealt with the historical atmosphere in the farthest east, Middle East and North Africa.

The analysis of the context showed the conclusions below:

1- Ibn- Khaldoon was deeply interested in the Tatar news that was through his verbal and written resources. He showed interest in the subject even before he meeting that connected him with Tymourlank the tyrant.
2- Ibn- Khaldoon had drew a dark picture to the Turkish's and the described them as destructive man kind.
3- Ibn- Khaldoon had hesitated to accompany with the Egyptian Sultan to Sham Countries: (Jordan , Syria, Palestine. This hesitation was because of being of unformed personality and he didn't want to be of no obeyed order.
4- The object poverty, bad social circumstances, and hegemony of merchants had caused the Egyptian Sultan to make haste to Egypt.
5- All scientists decided upon Ibn- Khaldoon to take part in the negotiations with Tymourlank for asking the tyrant rules or peace, this showed the fine dignity the man enjoyed. Historians emphasized that Tymourlank asked the delegation about him and when the man arrived he was cheering welcomed.
6- Tymourlank aimed at acquiring some information about Morocco to invade and Ibn- Khaldoon was the proper resource for.
7- Ibn- Khaldoon was actually overwhelmed in fame love and so he tried to be in a good relation with invader.
8-the great flattery and over praise for tymourlank was not but a result for the naiveness he sensed on tymour's part.so,he over flattered him,hence his objectivity disappeared and his hypocricy came into existence .
9-Tymourlank had showed mercy and polite ness towards people, but when the opportunity shined, he converted everything and revealed his wild nature.
10-The Sultan asked Tymourlank for the caliphate, and so this showed the importance of the invader's sphere and he became the only man to order and to be obeyed.
11-Ibn- Khaldoon failed to achieve what the desired at and so he turned back to Egypt and lost everything he wished.
12-Tymourlank tried to purchase Ibn- Khaldoon's mule because he wanted to reward him indirectly.
13-Ibn- Khaldoon acquired much information about the devastating power of Tymourlank, and so he sent to Morocco's Sultan to be cautions and aware of the tatrian's power and danger.□